ترجمة القرآن

الدعوة الى الاسلام

لاتتوقف على الترجمة الحرفية

علمنا مما سبق أن القرآن عربي ، وأن نزوله بلغة العرب يرمي الى حكمة سامية ، وهي أن تكون اللغة العربية رابطة لسانية للشعوب الاسلامية ، ومبدأ لوحدتهم السياسية و الاجتماعية ، رأن رسول الله ﷺ بلغ دعوة الاسلام بالعربية ، ولم يأمر بترجمة القرآن باللغات الاجنبية محافظة على ذلك الغرض السامي الذي أشرنا اليه ، مع توفر الداعية إذ ذاك على ترجمته ، وكذلك أصحابه من بعده قاموا بتبليغ دعوة الاسلام بالعربية ولم يترجموا القرآن الى ألسنة الشعوب الاخرى ، وكذلك التابعون من بعدهم ، فكان من نتيجة ذلك انتشار العربية في كل البلاد التي دخلها الاسلام حتى صارت لغة الملايين من البشر ، ومزاحمة أبناء الشعوب الاخرى للعرب في تعلم العربية حتى فقهوا أسرارها ، وقاموا بتدوين علومها ، ولم ينقل أنهم ترجموا القرآن بلغاتهم ، فكان ذلك دليلا عملياً ساطعاً على أن الدعوة الى الاسلام لاتتوقف على ترجمة القرآن ، ولو استمر المسلمون محافظين على استقلالهم السياسي ، ونفوذهم الادبي ، ونهضتهم التي كانت مضرب المثل في التاريخ ، ومجدهم الذي فاقوا به كثيراً من الامم ، لاستمر الاسلام منتشراً بلغته العربية ، ولكان لهذه اللغة المقام الاعلى بين اللغات الحية ، ولصارت أعظم لغة للعلم والثقافة العالمية . وقد يتمسك بعض الناس بما روى أن سلمان الفارسي رضي الله عنه ترجم الفاتحة بالفارسية على عهد النبي ﷺ ، وعرض ذلك على رسول الله ﷺ فأقره ، ويقولون حيث قد جوز النبي ﷺ ترجمة الفاتحة وأقر عمل سلمان ، فذلك دليل على

جواز ترجمة القرآن ، لانه اذا جاز ترجمة البعض جاز ترجمة الكل إذ لافرق بين جزء وآخر ، ولكنا نقول ان ذلك الاثر لايصح التمسك به لانه مكذوب وباطل نقلا وعقلا ، اذ لم يرو فى كتاب من كتب الاحاديث المعروفة ولم يعرف له اسناد صحيح أو ضعيف ، وانما روى بصيغة التمريض ، وغير مسند الى رواة معروفين ، فمن الجائز أن يكون موضوعاً كغيره من الاحاديث التى روجها الوضاعون وزنادقة اليهود بين المسلمين لاغراض خبيثة فى نفوسهم ، هذا فضلا عن أن الفرس لم يدخلوا فى الاسلام الا فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، كما يعلمه كل من ألم بطرف من التاريخ الاسلامى ، فغير معقول اذاً أن يكونوا قد طلبوا ترجمة الفاتحة من سلمان ، وأن يكون الرسول عليه الصلاة والسلام قد أقرّ ذلك ، وأبى الله الا أن يكون مع كل حديث موضوع قرينة تشهد ببطلانه ، ليكون المسلمون على بصيرة من أحاديث نبيهم ، وليس هناك قرينة تدل على وضع هذا الحديث أعظم من هذه القرينة التاريخية التى أشرنا اليها

فاذا كانت الدعوة الى الاسلام لم تتوقف على ترجمة القرآن في العصور السالفة ، وهى العصور التى كان الدين الاسلامى فيها جديداً فى العالم ، وكان أتباعه يريدون نشره بكل مافى استطاعتهم من الوسائل ، فأية ضرورة تلجئنا فى هذا العصر الى اقتحام باب الترجمة الذى يجر علينا شراً مستطيراً ، ويفتح للملحدين والمفسدين باب الشر والفتنة وبث الدسائس لهدم الاسلام ، مع أن لدينا من الوسائل فى تبليغ الاسلام ، مايغنينا عن ترجمة القرآن

قد يقول قائل ان المسلمين فى صدر الاسلام كانوا فى غنية عن ترجمة القرآن لما كان لهم من النفوذ السياسى والادبى الذى سهل عليهم تبليغ الاسلام باللغة العربية ، أما الآن فقد صار المسلمون مستضعفين فى كل قطر من أقطارهم وزال ما كان لهم من السطوة والنفوذ السياسى ، وأصبحوا خاضعين لغيرهم من الامم الاجنبية ، فلا يمكنهم أن يبلغوا دعوة الاسلام باللغة العربية كما كانوا فى

عصور مجدهم وعظمتهم ، ولا يمكننا أن نقيس حالتهم في هذا العصر على حالتهم في العصور الزاهرة السالفة ، وأن نقول انهم في غنية عن ترجمة القرآن كما كان أسلافهم في غنية عنها ، بل الواجب عليهم أن يترجموا القرآن لتبليغ الدعوة التي أمروا بتبليغها ، وليكون في ترجمة القرآن رد للمطاعن الموجهة الى الاسلام وبما أن تبليغ الدعوة ورد المطاعن عن الاسلام واجب على المسلمين وترجمة القرآن وسيلة الى أداء ذلك الواجب فهي واجبة أيضاً ، فعلام تمنعونها ، وتنكرون على الدعاة اليها ، واذا كان المسلمون لا يقومون بترجمة القرآن ترجمة صحيحة لانهم أعلم الناس بكتابهم ، فان غيرهم من أبناء الامم الاخرى لابد أن يقوموا بها ، وقد ترجموه فعلا بلغات كثيرة تراجم مشوهة ، وما كان أغنى المسلمين عن تلك التراجم الخاطئة لو قاموا هم بترجمة القرآن حتى يبعدوا بها عن مزالق الخطأ والزلل

ونقول في الجواب عن هذه الشبهة التي استحوذت على أدمغة كثير من الناس : نحن نسلم أن المسلمين قد ضعف نفوذهم السياسي في هذه العصور الاخيرة ولكن ذلك لا يغير من وجه المسألة شيئا ، فان الاسلام لم ينتشر في مبدأ الامر بقوة المسلمين ، ولا بقهرهم للشعوب التي دخلت تحت رايتهم ، وانما انتشر بقوة مبادئه ، وسلامة أصوله ، وسماحة تعاليمه ونور هدايته الذي وصل الى مكمن الوجدان من القلوب ، ومقر الاذعان من العقول ، فجعل كثيراً من الشعوب تنبذ ما ورثته عن أسلافها من العقائد والعادات والتقاليد والقوانين نبذ الرداء الخلق ، وتقبل على اعتناق الاسلام دين السماحة والاخاء والمساواة دين الحرية المعقولة التي تجعل العبد بين أبناء جلدته حراً كريماً ، وبين يدي ربه عبداً ذليلا ، ولو كان انتشاره بالقوة والاكراه لنبذته الشعوب بعد زوال قوة المسلمين ، وما زال الاسلام كما كان لم يتغير ، ولكنا جهلنا وسائل نشره التي فطن لها السلف ، وتخاذلنا عن تبليغ دعوته ، وبخلنا بالانفس والاموال

فى سبيل نشر هدايته ، و نسلم كذلك أن الدعوة الى الاسلام ورد المطاعن عنه واجبة علينا كما كانت واجبة على أسلافنا ، ولكن ذلك لا يتوقف على ترجمة القرآن ترجمة حرفية تقوم مقام النص العربى لدى الشعوب الاعجمية ، لأن تلك الترجمة غير ممكنة ، فضلا عن أنها لو فتح بابها لولجه الدساسون المتسترون بأسماء اسلامية ، و اتخذوه سبيلا لنفث سمومهم ، وانما تتوقف الدعوة على أمرين يجب على الشعوب الاسلامية أن تسعى الى تحقيقهما حتى يستطيعوا تبليغ دينهم تبليغاً صحيحاً ، ورد المطاعن التى نسبها اليه الملحدون ورجال الكنيسة زوراً و بهتاناً :

الاول — أن تترجم مقاصد الاسلام من عقائده وعباداته وقوانينه وأخلاقه وآدابه مؤيدة بالبراهين الصحيحة لتكون صورة واضحة للاسلام فى نظر الشعوب التى لم تعلم عن الاسلام شيئاً صحيحا ، وليكون وجودها على هذا النحو أكبرَ مفند لمزاعم أعداء الاسلام ، ولا بأس من تفسير القرآن بلغات تلك الامم تفسيراً صحيحاً بعيداً عن الريب والشبه والشكوك ، وفى تفسير القرآن باللغات الاجنبية مندوحة عن ترجمته ، لأنه يؤدى الغرض الذي يقصده الدعاة من ترجمة القرآن مع بعده عن مثارات الفتن ، واذا وقع فى ذلك التفسير شيء من الخطأ يكون معلوما لدى الشعوب الاجنبية أن ذلك خطأ المفسر لا خطأ الكتاب المقدس ، وأكبر ظنى ان المسلمين لو فعلوا ذلك وتعاونوا على تنفيذ هذا المشروع لكان له أثر جليل فى هداية الشعوب الاجنبية إلى الاسلام

الثانى — وهو أمر طالما فكر فيه المصلحون وأرباب الغيرة على الاسلام من قبل وكان من أشد الناس اهتماما به الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده رحمه الله ، هو تكوين جماعة للدعوة والارشاد مزودة بالعلوم الدينية ، والاسلحة العلمية الحديثة التى أصبحت من ضروريات الدعوة الى الاسلام فى هذا العصر ومعرفة لغات الشعوب التى يراد دعوتها الى الاسلام ، ليقوموا بأعباء الدعوة

الى الاسلام ، وليردوا عنه المطاعن التى يوردها أعداؤه عليه ، ويؤيدونها ببعض النظريات العلمية ليضللوا بها العقول ، ويغرروا بها شباب المسلمين ، وليقربوا مبادىء الاسلام الى عقول أبناء الامم الاجنبية مؤيدة بالبراهين العلمية الصحيحة ، ويؤدونها اليهم باللغة التى يفهمونها لا بلغة القرون الماضية التى أصبحت لا تؤثر على مشاعر الجماهير من أهل هذا العصر ، وتلك الجماعة هى الامة التى أمر الله تعالى المسلمين بأن تكون موجودة فيهم بقوله « ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر » والمراد بالخير الاسلام والدعوة اليه مطلوبة من المسلمين بحكم جعلهم أمة وسطا ، وخير أمة أخرجت للناس ، كما قال تعالى : « وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » وقال « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر »

ومن العجب أن يفرط المسلمون فى تكوين هذه الامة ويتعرضوا بذلك للاثم المبين ، وهم يرون أبناء الامم الاخرى قد نظموا صفوفهم ، وعبأوا كتائبهم ، وكونوا جماعات الدعاة الى أديانهم ، وأرسلوهم زمراً الى الاقطار الاسلامية ، وأغدقوا عليهم من الاموال مايذهل اللب ، حتى استطاعوا انشاء المدارس والملاجىء والمستشفيات التبشيرية ، وطبع الكتب والنشرات والجرائد التى تنشر دعايتهم فى الاقطار الاسلامية ، وأمدهم أغنياؤهم بالتبرعات الطائلة وأيدتهم الصحف والرأى العام فى بلادهم ، ولم توضع أمامهم العراقيل فى سبيل أداء مهمتهم ، بل مهدت لهم السبل ، وسهلت لهم الوسائل ، حتى أصبحوا يغزون المسلمين بدعايتهم فى عقر ديارهم ، ونحن لم نأخذ من ذلك عبرة ولم نتخذ من مجهودهم درساً ينبهنا الى الواجب علينا ، ونمر بآيات القرآن التى تحفز هممنا الى التعاون فى سبيل تبليغ الاسلام بقلوب ساهية وعقول ذاهلة وهمم متخاذلة وعزائم متهدمة ، واذا قام منا فرد أو جماعة يدعون الى ذلك

الواجب المقدس حدجت اليهم العيون بنظرات الهزء والسخرية ، ورمتهم الالسنة بكل بذيء من القول ، وتخاذل الناس عن تأييدهم وشد أزرهم ، وبخل عليهم الاغنياء بأموالهم ووضع أعداء الاسلام فى سبيلهم العراقيل والعقبات ، حتى تقاعدنا عن اداء أقدس واجب علينا بصفتنا أمة اسلامية ، ورضينا بالكسل والخمول عن التحفز والوثوب للرقى والكمال ، وتعرضنا بتفريطنا فى واجب الدعوة الى الاسلام للاثم المبين ، فانا لله وانا اليه راجعون

إن من المؤلم حقاً أن يفرط المسلمون فى إيجاد أمة الدعاة التى أمروا بايجادها بنص القرآن وأن يغفلوا عما يكون لها من الاثر فى إنجاح الدعوة الاسلامية ، ثم يقوم فريق منهم يدعو الى ترجمة القرآن فى العصر الذى يرى فيه الملاحدة قد تحالفوا على محاربة القرآن بكل مافى استطاعتهم من قوة ، ويرى فيه الدول المستعمرة تحاربه وتحارب لغته فى الاقطار الاسلامية بمختلف الوسائل ، ويغفل عن كونه يضع بالدعوة إلى ترجمة القرآن سلاحا فى أيدى أعداء الاسلام يصنعونه كما شاءت لهم أهواؤهم ، وإن كان بعض من يرى جواز ترجمة القرآن حسن النية فان حسن نيته ليس مبرراً المسلمين فى الاقدام على ذلك الامر الجلل الذى يجر عليهم أفظع المصائب وأشنع النوائب ، فيجب أن نقيس الامور بنتائجها وأن نوازن بين مصالحها ومفاسدها قبل التورط فيما لا نستطيع التخلص منه فيما بعد ، وأن نسلك فى الدعوة الى الاسلام الطريق التى رسمها القرآن حتى نأمن من العثرات

ولو ان المسلمين عنوا بتكوين جماعة الدعاة وزودوهم بالعلم والمال لنشطوا للدعوة إلى الله تعالى ، ولصار تعداد المسلمين اليوم أضعاف ماهو عليه ولاهتدت بهم الامم إلى دين المحبة والسلام ، وان أهم ما يحتاج اليه هؤلاء الدعاة من العلم مايأتى :

١ — العلم بالقرآن والسنة وسيرة النبى ﷺ والخلفاء الراشدين رضى الله عنهم وسيرة السلف الصالح وبالقدر الكافى من الاحكام ، وهذا أمر يسير

لو سلك القائمون بأمر التعليم اليه أقرب طريق وتجنبوا أساليب التعمية والتعقيد

٢ — العلم بالحالة الاجتماعية لمن توجه الدعوة اليهم ومعرفة شئونهم واستعدادهم وطبائعهم وأخلاقهم ليعرف الداعون كيف يؤثرون بالدعوة على مشاعرهم ووجدانهم

٣ — معرفة التاريخ العام للامم ليعرف الداعى مناشئ الفساد فى العقائد والاخلاق والعادات فيبنى دعوته على أساس صحيح ويبلغ بالكلام غايته من التأثير ، ولهذا كان القرآن مملوءاً بعبر التاريخ

٤ — علم النفس : وهو من أهم العلوم التى يحتاج اليها الدعاة الى الاسلام لانه هو العلم الذى يبين طبائع النفوس وغرائزها واستعدادها ، وكيفية تصريف قواها ، والتأثير على وجدانها ، وتوجيه ارادتها الى عمل الخير ، وتكوين العادات الفاضلة والملكات الاخلاقية والدينية فيها ، وقد كان للسلف رضى الله عنهم باع طويل فى هذا العلم ، ومعرفة كبيرة استفادوها من التجارب الصادقة ، والملاحظات الدقيقة ، وان لم يكن علمهم مرتباً على الاساليب الحديثة ، يدلنا على ذلك المأثور من حكمهم وأقوالهم ، ونجاحهم الباهر فى جذب النفوس الى الاسلام ، وتمرينها على أداء شرائعه ، وقد ضرب الغزالى فيه بسهم وافر فى كتابه احياء علوم الدين وغيره من مصنفاته ، ومن يوم أن أعرض المتأخرون عن مباحث هذا العلم لم نر لهم أثراً ظاهراً فى جذب النفوس الى الخير والهدى

٥ — علم الاخلاق الذى يبحث عن الملكات الاخلاقية الفاضلة وكيفية تنميتها فى النفس ، وعن الرذائل وكيفية الوقاية منها ، وهو ضرورى للدعاة الى الاسلام بشرط أن يصحبه أدب النفس ورياضتها على الفضائل ، حتى تكون أخلاق الداعى الشخصية صورة مجسمة لعلمه ، وماورد فيه من الآيات والاحاديث وآثار الصحابة والتابعين يغنى بشهرته عن الكلام فيه

٦ — علم الاجتماع : الذى يعرف الدعاة طبائع الامم ، ودرجات استعدادها

وأسباب تطوراتها ، وعوامل رقيها وانحطاطها ، وهو متصل اتصالا وثيقاً بالتاريخ وعلم الاخلاق ، وقد شرح الله تعالى لنا فى القرآن كثيراً من طبائع الامم الماضية لينبهنا الى وجوب العناية بدرس طبائع الامم اذا أردنا أن نكون على بصيرة فى الدعوة الى دينه الحق

٧ — العلم بلغات الامم التى يراد دعوتها ، حتى يمكن تفهيمها والتفهم عنها . وقد ورد فى صحيح البخاري أن النبى ﷺ أمر بعض الصحابة بتعلم اللغة العبرانية لاجل اليهود الذين كانوا مجاورين لهم — على أنهم كانوا قد استعربوا — فمعرفة لغات الامم المعاصرة لنا أولى وأجدر بأن نوجه الى تعلمها اهتمام الدعاة الى الاسلام ليسهل عليهم تبليغ الدعوة

٨ — العلم بالفنون والعلوم المتداولة فى الامم التى توجه اليها الدعوة ولو بقدر مايفهم به الدعاة مايورد على الدين من شبهات تلك العلوم والجواب عنها بما يليق بمعارف المخاطبين بالدعوة

٩ — معرفة الملل والنحل ومذاهب الامم فيها ليتيسر للدعاة بيان مافيها من الباطل ، فان من لم يعرف بطلان ما هو عليه لم يلتفت الى الحق الذى عليه غيره ولو دعاه اليه ؛ ولذلك نجد أن القرآن استعرض كثيراً من عقائد الامم كعقائد الوثنيين والمشركين وعقائد اليهود والنصارى الباطلة ؛ وكرّ عليها بالنقد والابطال ، والتفنيد والتزييف ، ونافشها بالحجج الساطعة ، والبراهين القاطعة ؛ وبين وجوه فسادها وبطلانها ؛ لينبهنا الى أن الدعاة الى الاسلام بحاجة قصوى الى معرفة وجوه الخلل فى عقائد الامم ومعرفة وجوه بطلانها ؛ حتى يقيموا على أنقاضها دعائم العقائد الصحيحة

١٠ — تربية الدعاة على الاخلاق والآداب الفاضلة التى تجعلهم يظهرون بمظهر الكمال اللائق بالدعاة الى الحق فى أعين غير المسلمين ، وتجذب اليهم قلوب ، وتحبب فيهم النفوس ، وذلك شرط أساسى فى نجاح الدعاة الى الاسلام ، وفى تقدم الدعوة الاسلامية ، ولقد كان فوز السلف رضى الله عنهم

فى نشر الاسلام راجعاً الى كمال أخلاقهم ، وسمو نفوسهم ، أكثر مما هو راجع الى أى سبب آخر

ذلك أهم مايحتاج اليه الدعاة الى الاسلام من أنواع العلوم والفنون ، ولو أن المسلمين عنوا بايجاد أمة الدعاة على هـذا النحو وأمدهم أغنياؤهم بالاموال الضرورية لنشر الدعوة ، وكانت لهم صحف ترفع صوتهم باللغات الاجنبية ، و مجلات علمية تمدهم بالابحاث الضرورية وتجذب اليهم الرأى العام فى الشعوب الاخرى ؛ لنجح الاسلام نجاحا عظيما فى جميع أنحـاء العالم ، ولدخل الناس فى دين الله أفواجا ، ولنهض المسلمون نهضـة صادقة الى تسنم ذرا المجد والعزة والكمال ، وعسى الله أن يلهم الامة الاسلامية أن تقوم بهذا الامر الذى فرط فيه المسلمون عدة قرون ، وما ذلك على الله بعزيز

هذا ماتتوقف عليه الدعوة الاسلامية ، وذلك هو السبيل القويم لمن كان يريد السعى فى رقى الاسلام والمسلمين

أما ترجمة القرآن فانها فضلا عن كونها لاتؤدى ذلك الغرض المطلوب فانها عرضة لأخطاء جمة تعكس الغرض المطلوب منها ، وربما كانت عائقا فى سبيل انجاح الدعوة الاسلامية

ولقد ترجم القرآن الى لغات عدة ، فكم كان عدد الذين اهتدوا به الى اعتناق الاسلام ؟ لاريب أن عددهم قليل جداً ، ولم يكن اهتـداؤهم لان الترجمة أثرت على وجدانهم ، واستولت على مقر الاذعان من عقولهم ؛ كما استولى القرآن على مشاعر العرب ووجداناتهم وعقولهم فقلب طباعهم ، وجمع كلمتهم ، ورفع رايتهم ، وأرغم لهم معاطس الجبابرة من الاكاسرة والقياصرة بل كانت علته أنهم أدركوا منها شيئا يسيراً من مبادىء الاسلام وافق منهم فطراً صافية فجعلهم يحكمون بأنه خير الاديان ، ولوكان للترجمة من التأثير على مشاعر القوم ما كان للقرآن من التأثير على مشاعر المسلمين لوجدنا الآلاف والملايين

منهم تقبل الى اعتناق الاسلام إقبال الظمأى على نمير الماء الزلال ، وتلك الفائدة اليسيرة ليست شيئا مذكوراً اذا قايسنا بينها و بين الاضرار المترتبة على الترجمة ، فلا ينبغى أن تكون مبررة للترجمة

والآن وقد انتهينا من بيان عدم توقف الدعوة الاسلامية على ترجمة القرآن ، ومن بيان الطريق القويم لمن يريد الوصول الى الغاية من نشر الاسلام و بينا خطأ الاوهام التى تسلطت على عقول الدعاة الى ترجمة القرآن ، فلنبين الادلة على عدم جواز الترجمة الحرفية التى يريدونها « وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت واليه أنيب »

حسين سامى
المحامي الشرعى

الدين ووزارة المعارف السورية

جاء فى خطاب معالى وزير معارف سوريا مظهر باشا رسلان فى مدرسة حمص التجهيزية :

ان الواجب يقضى على كل واحد بأن يعنى العناية التامة بتثقيف الناشئة تثقيفاً دينياً قبل كل شىء إذ من لاخير لدينه فيه لاخير لوطنه فيه و انى باذل قصارى جهدي لاصلاح المعارف اصلاحاً حقيقياً بعد أن تحقق لى أنها ضعيفة وأن مدارس البنات أصبحت غير صالحة لتثقيف أمهات رجال المستقبل

جمعية الهداية الاسلامية ببغداد

جمعية مجاهدة مخلصة موفقة ويسرنا أن نقرأ أخبار فروعها التي تمتد فى كل يوم كما يسرنا منها ذلك الثبات العجيب فى الدعوة للاصلاح مهما لاقت ، وأن تفكيرها فى إنشاء جامعة اسلامية كبرى تشابه الجامعات الحديثة لمن شواهد جهادها المتواصل